



الحياة الطيبة

ملخص الخطبة

١- حقيقة الحياة الطيبة. ٢- الحياة المعاصرة. ٣- تصوّرات الناس للحياة الطيبة. ٤- السبب الأعظم للحياة الطيبة. ٥- من أسباب الحياة الطيبة: تقوى الله، الصلاة، دوام الذكر، هداية الله، القناعة والرضا، اصطناع المعروف، توحيد الهموم في همّ الآخرة.

الخطبة الأولى

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوى الله، فهي سبيل النجاة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [النحل: ٩٧].

ذكر المفسرون أقوالاً عديدة في معنى **الحياة الطيبة** الواردة في الآية الكريمة، فقالوا: هو الرزق الحلال الطيب في الدنيا أو القناعة أو الرضا ونحو ذلك، لكن ابن القيم رحمه الله تعالى وجّه الأنظار إلى معنى أعمق فقال: "الصواب أنها حياة القلب ونعيمه وبهجته وسروره بالإيمان ومعرفة الله ومحبته والإنابة إليه والتوكّل عليه، فإنه لا حياة أطيب من حياة صاحبها، ولا نعيم فوق نعيمه إلا نعيم الجنة، كما كان بعض العارفين يقول: إنه لتمرّ بي أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيشٍ طيب، وإذا كانت حياة القلب حياة طيبة تبعته الجوارح، فإنه ملكها" انتهى كلامه رحمه الله (١) [١].

صيرنا في زمنٍ كثرت فيه أسباب الهموم والأحزان، فقد كثرت فيه الفتن والمحن، وظهرت فيه البغضاء والإحـن، وكثرت فيه الشواغل، ونزلت فيه بالناس الغوائل، وتشعبت بالناس الشّعاب. الحياة المعاصرة أبدعت في أساليب الرفاهية والمتعة لبني البشر، لكنّها لم تستطع تأمين الحياة الطيبة، سعادة القلب، اطمئنان النفس، لقد بلغ العلم الحديث درجة عالية من الرّقي، فلم يحقّق إلا متعة حسّية ولذّة ظاهريّة ورفاهية أنيية، لم تبلغ مكنونات النفس، ولم تتنوّق بها النفس الحياة الطيبة. يتصوّر بعضُ الناس الحياة الطيبة مقترنةً بالأضواء البرّاقة والمناصب الخادعة، ويتصوّرها آخرون مع تكديس الأموال والانغماس في أحوال الشهوات واحتساء سموم المخدرات، وآخرون مع تشييد القصور الفخمة.

إنّ اليأس والقلق والأسى والألم يموج في العالم، والتمرد والتمزّق والمأساة والشقاء سمّة الحياة المعاصرة، هناك فوضى تأخذ بخناق العالم، تُبعثر كلّ ما بقي من نظام، وتسعى إلى تمزيق الحياة.



الحياة الطيبة الحياة الآمنة الحياة الهادئة المستقرة مطلب كل إنسان، ومقصد كل عاقل، كيف نتذوقها في أنفسنا؟ كيف نعيشها في مجتمعاتنا؟ كيف نوّمنها للأجيال القادمة؟ قال تعالى: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً. اشترط سبحانه الإيمان حتى ينفع العمل الصالح الذي يُثمر طيب العيش، وتجعله قرير العين، هنيء النفس، صالح البال، فيجمع الله له أمره، ويرزقه الرضا والحياة الطيبة.

الإيمان الحقُّ بالله تعالى رباً ومعبوداً هو السببُ الأعظم للحياة الطيبة، كما قال تعالى: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، فإذا عرف العبد ربّه تبارك وتعالى بصفاته وأسمائه الحسنی عرف معنى ربوبيته سبحانه، وأنّه هو المالك للأمر كله، بيده نواصي جميع الخلق، فإنّه لا يخشى أحداً غيره، ولا يدين لأحدٍ سواه. انظروا إلى نبي الله هود عليه السلام كيف تحدّى قومه جميعاً حينما خوّفوه بألتهنم الباطلة، فقال لهم: إني أشهد الله وأشهدوا أنّي بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذٌ بناصيتها إن ربي على صراطٍ مستقيم [هود: ٥٤-٥٦]. من ملك هذا الكون ومالكة؟! من خالقه؟! إنه الله، خالق كل شيء، رب كل شيء، مدبر الأمر وحده، الخافض الرافع، المعزّ المذلّ، الضارّ النافع، هو الذي بيده ملكوت كل شيء، هو على كل شيء قدير، قيوّم السموات والأرض. فإذا علم العبد ذلك فقد وجب عليه أن لا يخشى إلا ربّه، وأن لا يبتغي العزة إلا في طاعته والتذلّل لعظمته، وأن لا يتّجه إلى غيره، ولا يتعلق قلبه بسواه، وأن يلجأ إليه وحده في كل ما يلّم به من المصائب والشدائد، فهو ربّه ومالكة، ومصلح أمره ومدبره. وحينئذ تطمئنّ نفسه، ويثبت جأشه، ويقوى قلبه؛ لأنه يعلم أنه يأوي إلى ركن شديد، ويحتمي بملك الملوك، فقد توكل على الحي الذي لا يموت، وهذا يجعل نفسه دائماً مطمئنّةً وحياته طيبة. من كان كذلك تحقّق له الأمن والأمان، وتحققت له طمأنينة النفس؛ لأنه حينئذ يكون عبداً لربٍّ واحد، فيكون له توجّه واحد، فلا تتفرّق نفسه ولا تتعدّد وجهته. ذلك أن العبد الذي يعلم أنّ الله تعالى هو مالك الملك وحده وهو أحكم الحاكمين لا يتّجه إلى غيره لكشف ضرٍّ أو جلب نفع، أمّا من كان له ولي يدعو من دون الله، أو حاكم يطيعه في شرع الله، أو شهوة قد تعلق بها في معصية الله، أو طاغية يرجوه خوفاً من ظلمه وبطشه، أو دنيا قد استعبدته من دون الله، فهذا هو الشقي الذي يتنازعه شركاء متشاكسون، قال تعالى: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ [الزمر: ٢٩].

إخوة الإسلام، من أسباب الحياة الطيبة تقوى الله بأداء الفرائض واجتناب المعاصي، فإذا كنت في ضيقٍ وشدة فائق الله في أمرك وفي مالك، قال تعالى: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ [يونس: ٦٢-٦٤]. فالمؤمن التقى من أطيب الناس عيشاً، وأنعمهم بالاً، وأشرحهم صدرًا، وأسّرهم قلباً، وهذه جنة عاجلة



قبل الجنة الآجلة، فما أعظمها من نعمة.

الصلاة . عبادَ الله . من أعظم الأسباب لتحقيق الحياة الطيبة، تشرح الصدرَ ، وتذهب ضيقه، وتُرسل في القلب نبضاتِ الطمأنينة والراحة، فلا يزال العبد كأنه في سجنٍ وضيقٍ حتى يدخل فيها، فيستريح بها لا منها. تمدَّ العبدَ بقوةٍ إيمانية، تعينه على مهماتِ الحياة ومصائبها، بها تزول الهمومُ والغموم والأحزان، قال تعالى: **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ** [البقرة: ٤٥]، وكان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة. أخرجه البخاري(٢)[٢].

من أهم أسباب الحياة الطيبة دوامُ الذكر، فالذكر طمأنينة للقلب، أمانٌ للنفس، حفظٌ لها من الشرور. والقلبُ الممتلئُ بذكر الله قلبٌ قويٌّ، لا يخاف غيرَ الله، ولا يخشى أحداً إلا الله؛ لأنه يستشعر دائماً معيةَ الله ونصرته، فهو سبحانه القائل في الحديث القدسي: ((أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفثاه)) أخرجه أحمد(٣)[٣].

من أسباب الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة هدايةُ الله للعبد إلى التوبة والاستغفار كلما أصاب ذنباً أو همَّ بمعصية، قال تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ** [الأعراف: ٢٠١].

سرّ الحياة الطيبة . عبادَ الله . القناعة بالرزق والرضا بما قسم الله، يُجَلِّي هذا المعنى حديثُ رسول الله : ((من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا)) (٤)[٤]، وقال : ((قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقتعه الله بما آتاه)) أخرجه مسلم(٥)[٥]. التطلع . عبادَ الله . إلى زهرة الدنيا تتقلب في أيدي الناس ثورتك همًا ينغص عيشك، وغماً يكدّر حياتك. إن أهم أمر يسبب نكدَ حياة كثير من الناس في هذه الأيام عدمُ الرضا بما أوتوا، كلُّ منّا ينظر إلى ما أوتيته من هو فوقه مالاً ومنصباً، وهذا الحديث الصحيح يرشد إلى منهج سديد بقوله : ((انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدرُّ أن لا تزدروا نعمةَ الله عليكم)) رواه الترمذي(٦)[٦].

إنه مهما قلَّ مالك وساعت حالك أحسنُ من آلاف البشر ممن لا يقلُّ عنك فهماً وعلماً وحسباً ونسباً. إن الحياة قصيرة، فلا تُسلمها للهموم تفسدُها، وللاأقدار تقتلُها، وقد قال أحدهم: "راحة الجسم في قلةِ الطعام، وراحة النفس في قلةِ الآثام، وراحة القلب في قلةِ الاهتمام، وراحة اللسان في قلةِ الكلام". إن إضفاء مسحةٍ من الأمل في المستقبل والتفائل في الحياة يغمر القلب بالبهجة، ويعمر الحياة بالسرور، ليهنأ المسلم في عيشه، ويغدو مسيحَ الآلام فسيحَ الآمال حسنَ الظن بالله. تزهو الحياة وتطيبُ باصطناع المعروف، وإغاثة الملهوف، قضاء حوائج الناس، إدخال السرور عليهم، المشي في حوائجهم. تتلذذ . أيها المسلم . بحياتك وتشعر بالحبور حين تُدخل على قلوب البؤساء والضعفاء السرورَ . نعم، تسري في كيانك السعادة، وأي سعادة؟! بل وما أعظمها من سعادة.



أفكارك الخيرة ترسم مسارك، وأعمالك النافعة تُبهِج أيامك، ومن سما بأفكاره سما بحياته، فتغدو مضيئة طيبة مرحة مستبشرة، ذلك أن الأفكار السُميى تبعث في الحياة الروح، والأهداف النبيلة تجعلك تطلق في أجواء بعيدة عن [الأنتان والحش]، تشكرُ الله على كلِّ نعمة، وتصير على كلِّ بليّة، قال تعالى: وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ ءَامِنُونَ [سبأ: ٣٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وفق من شاء لعبادته، أحمده سبحانه وأشكره على تيسير طاعته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وعدّ المؤمنين بلوغ جنّته، وحذر العصاة أليم عقوبته، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، كان إماماً في دعوته، وقُدوة في منهجه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، صلاةً دائمة حتى تبلغ دار كرامته.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوى الله.

إخوة الإسلام، اجتماعُ الهموم كلّها على مرضاة الله تطيب الحياة، وتجعل في القلب حياةً، وهي أنس بالمحبيب، ومن تشعبت به همومه عذب بها فأهلكته، وفي الحديث عنه: ((من جعل الهموم همماً واحداً همّ المعاد كفاه الله همّ دنياه، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يُيال الله في أيّ أوديته هلك)) أخرج ابن ماجه (٧) [١].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "وأيُّ حياةٍ أطيبُ من حياةٍ من اجتمعت همومه كلها وصارت همماً واحداً في مرضاة الله تعالى، ولم يتشعب قلبه، بل أقبل على الله، واجتمعت إرادته وأفكاره على الله تعالى، فصار ذكره لمحبيه الأعلى وحبّه والشوق إلى لقائه والأنس بقربه هو المستولي عليه، وعليه تدور همومه وإرادته وقصوده بكل خطوات قلبه، فإن سكت سكت الله، وإن نطقَ نطقَ بالله، وإن سمع فيه يسمع، وإن أبصر فيه يبصر، وبه يببطش، وبه يمشي، وبه يتحرك، وبه يسكن، وبه يحيى، وبه يموت، وبه يُبعث" انتهى كلامه رحمه الله (٨) [٢].

إخوة الإسلام، لا تتحقّق الحياة الطيبة قبل ذلك وبعده إلا بالاستعانة بالله واللجوء إليه، وسؤاله صلاح الدين وطيب الدنيا، هكذا علمنا رسولنا بقوله في دعائه: ((اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادةً لي في كل خير، والموت راحةً لنا من كل شر)) (٩) [٣].



اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذلّ
الشرك المشركين، ودمّر اللهم أعداءك أعداء الدين من الكفرة والملحدين...

(١) مدارج السالكين (٢٥٩/٣).

(٢) أخرجه أحمد (٣٨٨/٥)، وأبو داود في الصلاة، باب: وقت قيام النبي من الليل (١٣١٩) من
حديث حذيفة رضي الله عنه، وفيه محمد بن عبد الله الدؤلي أبو قدامة قال عنه الحافظ في التقريب:
"مقبول"، ومع ذلك فقد حسن إسناده في الفتح (١٧٢/٣)، وحسنه أيضاً الألباني في صحيح أبي داود
(١١٦٨). ومعنى (حزبه) أي: نزل به أمر شديد.

(٣) علقه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً مجزوماً به، ووصله في خلق
أفعال العباد (ص ٩٦)، وأحمد (٥٤٠/٢)، وابن ماجه في فضل الذكر (٣٧٩٢)، الطبراني في
الأوسط (٦٦٢١)، وصححه ابن حبان (٨١٥)، والحاكم (١٨٢٤)، وهو في صحيح السنن
(٣٠٥٩).

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٠٠)، والترمذي في الزهد، باب: التوكل على الله (٢٣٤٦)،
وابن ماجه في الزهد، باب: القناعة (٤١٤١)، والحميدي في مسنده (٤٣٩) من حديث عبيد الله بن
محسن الأنصاري، قال الترمذي: "حديث حسن غريب"، وله شواهد من حديث أبي الدرداء وابن
عمر وعلي رضي الله عنهم، ولذا حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣١٨).
(٥) أخرجه مسلم في الزكاة (١٠٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
(٦) أخرجه البخاري في الرقاق (٦٤٩٠)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٦٣) من حديث أبي هريرة
رضي الله عنه.

(٧) أخرجه ابن ماجه (٢٥٧، ٤١٠٦)، وابن أبي شيبة (٣٤٣١٣)، والبخاري (١٦٣٨)، والشاشي
(٣١٧)، وأبو نعيم (١٠٥/٢) من طريق نهشل عن الضحاك عن الأسود عن ابن مسعود رضي الله
عنه، قال أبو حاتم كما في علل ابنه (١٢٢/٢): "هذا حديث منكر، ونهشل بن سعيد متروك
الحديث"، وقال أبو نعيم: "غريب من حديث الأسود، لم يرفعه إلا الضحاك، ولا عنه إلا نهشل"، قال
البوصيري في الزوائد (٢٠٧): "إسناده ضعيف، فيه نهشل بن سعيد، قيل: إنه يروي المناكير، وقيل:
بل الموضوعات".

(٨) الجواب الكافي (ص ١٣٠).

(٩) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (٢٧٢٠)
من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

www.alieharony.com

موقع الشيخ الداعية الاسلامى
على الحارون

